الرسالة الصعيدية

إلى إخواني الطلبة الأزهرية

ببيان طريق الصوفية

الفقير إلى عفو ربه الغني:

عبدالرحمن طه الصعيدي محمد أبو الحسن الأزهري

راجعها وعدل عليها وأجازها:

شيخنا فضيلة العلامة الدكتور كريم السبادلي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وشَرَّف وكَرَّم وزاد وبارك وعَظَّم وأنعم على سيدنا ومولانا محمد مُعَلِّم الناس الخير والأصل والسبب في كل فضل، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي عن أصحابه الغر الميامين...

وبعد؛ فهذه رسالة لطيفة أسميتُها: [الرسالة الصعيدية إلى إخواني الطلبة الأزهرية ببيان طريق الصوفية]، وهي خطاب موجه لأصدقائي طلاب معهدنا الأزهري (الشيخ محمود أبو العيون) بل وإلى أساتذتي ومعلميني الأفاضل، وأُحب أن أجعل هذا الخطاب مُكَوّن من سؤال واحد وجوابه، والسؤال يقول: هل عبدالرحمن طه الصعيدي صوفي؟! والفقير يعلم أن هذا السؤال يدور في ذهن أصغر طالب في المعهد يدرس بالصف الأول الإعدادي إلى أكبر طالب يدرس بالصف الثالث الثانوي.

وبادئ ذي بدء، لابد أولًا أن نعلم ما معنى صوفي أو من هم الصوفية أو ما هو التصوف، حتى نستطيع الإجابة!

أولًا: ما هو التصوف؟!

فالتصوف هو: أعلى مراتب الدين: (الإحسان)، وهو كما جاء مُعرّفًا في حديث المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك!".[1] وهو مقام المراقبة، المراقبة في كل شيء في كل سكنة وحركة ولفظة ونَفَس، وتقوى رب العالمين حيث الامتناع عن فعل الذنب خوفًا من الله تبارك وتعالى، وهو كذلك معناه التزكية، كما جاء في مواضع كثيرة من الآيات النيرات العطرات من الذكر الحكيم، وأبلغه قول الله تبارك وتعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم ءايته ويزكيهم ويعلمهم...﴾ إذ ذكر التزكية قبل العلم فلا علم دون تربية النفس وكسر شهوتها، ومخالفة الشيطان!

يقول البوصيري رحمه الله تبارك وتعالى:

"والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ!
وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهمِ!".

ولما سئل سيد الطائفة الجنيد[2] البغدادي رحمه الله تبارك وتعالى عن التصوف قال: ((هو: أن يفنيك الحق عنك ويحييك به!)) ويقول أيضًا أن التصوف: ((تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة)) كما قال: ((من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، فليس منا، فإن علمنا هذا -أي التصوف- مشيد على الكتاب والسنة!)).

وقال رويم: ((هو -أي التصوف-: استرسال النفس مع الله على ما يريد!))، وسئل أبو الحسن النوري: ما التصوف؟ فقال: ((ترك كل حظ للنفس!)).

---

1) [رواه مسلم، عن عمر بن الخطاب، كتاب الإيمان - تعريف الإسلام والإيمان- ص١٥٦، الجزء الأول، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م]

2) قال ابن الأثير في وصفه: ((إمام الدنيا في زمانه))، وروى عنه الشيخ ابن القيم -تلميذ الشيخ ابن تيمية- في [جلاء الإفهام].

والصوفية: إنما سُمِّيت صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها؛ وقد قيل الكثير والكثير في بيان من هم الصوفية، وخيره ما قاله الشيخ العروسي:
((إن طريقة الصوفية تشتمل على عشرة أشياء، أحدها: حقيقة التصوف، وهي ترجع إلى صدق التوجه إلى الله. والثاني: أن مدار ذلك على إفراد القلب والقالب لله وحده، والثالث: أنه -أي التصوف- من الدين بمنزلة الروح من الجسد، والرابع: أن نظر الصوفي في وجه الكمال والنقص، والخامس: أن نظر الفقيه فيما يسقط به الحرج والأصولي فيما يصح به الإيمان ويثبت، فنظر الصوفي أخص من نظرهما..فصوفي الفقهاء خير من فقيه الصوفية، والسادس: إظهار شرف التصوف ودليله: نصًا وبرهانًا، والسابع: أن الفقه شرط في صحته، فلذلك قُدِّم عليه. والثامن: ذكر الاصطلاح واختصاصه بكل فن على حسبه، والتاسع: مفاتيح الفتح، وفيه أربعة أحكام:
1- المبادئ
2- وصدق الرغبة في الوصول
3- والتشوف للحقائق
4- وعدم التقيد بالمنقول مع التحقيق.
والعاشر: أنه طريق عجيب وغريب، ومبناه على اتباع الأحسن دائمًا؛ ففي العقائد: على اتباع السلف، وفي الأحكام: على الفقه، وفي الفضائل: على مذهب المحدثين، وفي الآداب: على ما به صلاح القلوب!))[1].

وقال يوسف بن الحسين: ((لكل أمة صفوة، وهم وديعة الله الذين أخفاهم عن خلقه، فإن يكن منهم في هذه الأمة فالصوفية!))، وقال رجل لسهل بن عبد الله التستري: من أصحبُ من طوائف الناس؟ فقال: ((عليك بالصوفية، فإنهم لا يستكثرون، ولا يستنكرون شيئًا، ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك على كل حال!))، وقال الحافظ شمس الدين الذهبي -تلميذ الشيخ ابن تيمية- في كتابه [سير أعلام النبلاء]: ((والعالِم إذا عَرَى عن التصوف والتَّألُّه فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عَرَى عن علم السنة ذل عن سواء السبيل!)).

---

1) انظر: [الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القيشيري النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٦٥هـ، ت: العارف بالله الإمام أ.د عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الشريف، ص34، الحاشية 2، ط: مؤسسة دار الشعب].

ثانيًا من هو الصوفي؟!

والصوفي بالجملة كما قال بشر بن الحارث: ((من صفا قلبه لله!))، وقال آخر: ((الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته!))، وقال بندار بن الحسين: ((الصوفي: من اختاره الحق لنفسه فصافاه، وعن نفسه بَرَّأَه، ولم يُرِده إلى تعمل وتكلف بدعوى. وصوفي على وزن: عوفي أي عافاه الله فعوفي، وكوفي أي كافاه الله فكوفي، وجوزي، أي جازاه الله فجوزي. فَفِعل الله به ظاهر في اسمه والله المتفرد به!))، وسئل سهل: من الصوفي؟ فقال: ((من صفا من الكَدَر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمَدَر!))، والمتصوف: خَلُص القوم إلى أنه هو الورع النقي، المتمسك بآداب السنة وتعاليم الديانة!

وأذكر لكم نماذج من الصوفية:
وأولهم آل بيت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعليهم؛ فالإمام علي بن أبي طالب، ثم ابنيه: الإمام الحسن و الإمام الحسين، ومن بعدهما فالإمام الحسن بن الحسن الملقب بالمثنى ويُلقب أيضًا بالرضي، ثم الإمام زيد بن علي السجاد الملقب بحليف القرآن، ثم الإمام يحيى بن زيد بن علي السجاد. إلى آخر أهل البيت قاطبة عليهم الرضوان والسلام.

ومن التابعين: أويس القرني، وهرم بن حيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وأبو حازم سلمة بن دينار المديني، ومالك بن دينار.
ومن تابعي التابعين: عبد الواحد بن زيد.
وإبراهيم بن أدهم، وعلي بن فضيل، وسفيان بن عيينة، والسري السقطي، وبشر الحافي، ومعروف الكرخي. وغيرهم وغيرهم... أما عن السؤال الذي يدور في ذهنك الآن: وهل كان لفظ الصوفية معروف آنذاك؟! أقول لك: نعم، إذ قال السهروردي: روي عن سفيان أنه قال: ((لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفتُ دقيق الرياء!))[1]. وهذا يدل على أن هذا الإسم كان يُعرَف قديمًا!

---

1) انظر: [عوارف المعارف، للسهروردي، ص85، طبعة ملحقة بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، المجلد5، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، 1986]

وها هي أقوال العلماء في الصوفية:

ونكتفي بأقوال أصحاب المذاهب الأربعة:

1- أما عن **الإمام أبو حنيفة؛** فقد كان رحمه الله تبارك وتعالى صوفيًا محضًا...! إذ نقل الفقيه الحنفي: (الحصكفي) صاحب [الدر]: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: ((أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة -أي الطريقة الصوفية- من أبي حنيفة!))[1].

2- **الإمام مالك**... قال رحمه الله تبارك وتعالى: ((من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق!))[2].

3- **الإمام الشافعي**... قال رحمه الله تبارك وتعالى: ((صحبتُ الصوفية، فاستفدتُ منهم ثلاث كلمات... قولهم: الوقت سيف إذا لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وقولهم: العدم عصمة!))[3]، كما قال أيضًا: ((حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعِشرة الخَلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف!))[4]، وكان رحمه الله تبارك وتعالى يجالس الصوفية، ويقول: ((يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده!)).[5]

---

1) انظر: [الدر المختار: (43/1) بحاشية ابن عابدين].

2) انظر: [حاشية العلامة علي العدوي، على شرح الإمام الزرقاني في الفقه المالكي: (95/3). وشرح عين العلم وزين الحلم، للإمام ملا علي القاري: (33/1)].

3) انظر: [تأييد الحقيقة العلية، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، ص15]، ونقله عنه الشيخ ابن القيم في [مدارج السالكين]، وقال: ((قلتُ: يالهما من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلامهم!)).

4) انظر: [كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنه الناس، للإمام العجلوني، ص341].

5) انظر: [تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للعلامة الشيخ محمد أمين الكردي، ت: العلامة نجم الدين أمين الكردي، ط: المكتبة التوفيقية ص 394-395 القسم الثالث].

4- **الإمام أحمد**... كان رحمه الله تبارك وتعالى قبل مصاحبته للصوفية، يقول لولده عبد الله: ((يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلًا بأحكام دينه!))؛ فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي، وعَرَف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: ((يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة!))[1].

وهذا حال أكثر الناس اليوم، إذا ذكر أمامهم كلمة صوفي فسرعان ما يأتي في أذهانهم: الدروشة والرقص والمقامات!

---

1) انظر: [تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للعلامة الشيخ محمد أمين الكردي، ت: العلامة نجم الدين أمين الكردي، ط: المكتبة التوفيقية ص394 القسم الثالث].

ولله در الشيخ القائل:

"ليس التصوفُ لبسَ الصوفِ ترقعُهُ
ولا بكاؤك إن غنى المُغنُّونا!
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ
ولا ارتعاشٌ كأن قد صرتَ مجنونا!
بل التصوفُ أن تصفو بلا كدرٍ
وتتبع الحقَّ والقرآن والدينا!
وأن تُرى خاشعًا لله مكتئبًا
على ذنوبِك طولَ الدهرِ محزونا!"
وقال آخر:
"إن التصوف فقه الدين قاطبة
والفقه بالدين توثيق وتخريجُ!
هو الكتاب، وماجاء النبي به
وكل شئ سوى هذا فمحجوجُ!
إن التصوف سر الله يمنحه
من قد أحب، وحب الله تتويجُ!
و إنما الحب أخلاق ومعرفة
ذكر وفكر وترويح وتأريجُ
إن التصوف تحقيق الخلافة
في أرض الإله وإلا فهو تهريجُ!".[1]

---

[1] هي لحضرة الإمام الرائد فضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم في ديوانه: [البقايا].

فإنك إذا صَحبتَ أهل العلم والتحقيق علمتَ كُنه التصوف، وتبين لك الحق كما تتبين لك الشمس في اليوم الحار!
وكان الإمام أحمد مع علو مقامه، إذا توقف في مسألة، يقول لأبي حمزة البغدادي: ((ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟))
ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي، عن إبراهيم بن عبد الله العلاني، أن الإمام أحمد قال عن الصوفية: ((لا أعلم أقوامًا أفضل منهم!)) فقيل له: إنهم يستحيون ويتواجدون، فقال: ((دعوهم يفرحون مع الله ساعة!))[1].

وبعد هذا كله أستطيع أن أجيب: **لا**... الفقير عبدالرحمن طه الصعيدي ليس بصوفي، إذ أن التصوف أحوال ومقامات يصعب على الفقير بلوغها، وما أنا إلا مذنب عاصي، أسعى لتحقيق مراد الله تبارك وتعالى مني وأحاول أن أسير على نهج الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أتفقه في الدين ما دمتُ حيًا. ويتقرر عند القارئ: أن الصوفية الذين ينسبون عبدالرحمن طه الصعيدي إليها على صواب أم على خطأ؟!

---

[1] انظر: [غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد السفاريني: (120/1)].

وأختم بنصيحة، وهي كذلك خاصة بالأزاهرة، فاقبلوها من خويدمكم وأخيكم عبدالرحمن طه الصعيدي:

الأزهري ليس كغيره من الناس؛ فالأزهري حوى العلم والحِلم، وهو موسوعة وبَحَّاثَة لا شك في ذلك، وهو إمام وليس بأموم، وهو قائد ولا يُقاد، وهو نور يمحق الله به ظلمات الجهل. وعلى هذا فلا تنغلق بنفسك على نفسك، ولا تتعصب لفئة ما أو حزب، والتعصب والولاء أولى أن يكونا لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والغيرة إنما على الإسلام وكفى!

وانظر حولك، ترى سفينة الأمة مخرقة من كل جانب، وليست حمل صراعات ضحيتها العوام، وشباب لا يعرف كيفية الوضوء الصحيح. واحمل هم الأمة والدعوة، واقرأ، وتبحر وتزود...

"تَعلم العلم واقرا
تَحُز فخار النبوة!
فالله قال ليحيى
﴿خُذِ الكتاب بقوة﴾!"[1].

أبيات سمعتها من حضرة العلامة المسند أ.د أسامة السيد الأزهري، في حفل ختام كتاب [الشمائل المحمدية، للإمام الترمذي] بمحافظة الأسكندرية، وهو نقلها عن شيخه: الطهطاوي.

ويا أُخَيّ، إذا أردتَ أن تتعرف على الصوفية، فاقرأ في كتبهم، واسمع منهم لا عنهم فإني أستطيع أن أحكم على الإسلام والمسلمين بالإرهاب بسبب الدخلاء، والتصوف لا شك كما قرر أهله دخل عليه دخلاء أفسدوا سُمْعَته. وخير ما تقرأ:

1- قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي، (ت386هـ).
2- الرسالة القشيرية، للقشيري، (ت465هـ).
3- إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام الغزالي، (ت505هـ)، ومنهاج العابدين له، والأربعين الأصل. وعامة كتبه في التصوف رحمه الله تبارك وتعالى.
4- وكذلك عامة كتب إمام الإجتهاد، وقطب الدعوة والإرشاد: عبدالله بن علوي الحداد الباعلوي رحمه الله تبارك وتعالى.
5- عوارف المعارف، للهسروردي، (ت632هـ).

ومن المعاصرين؛ فاقرا لخير من حارب بدع المتمصوفة وكان شديد اللهجة عليهم: حضرة الإمام عبدالله بن الصديق الغماري[1].

وبعد ذلك كله، فبلا شك سيتضح لك الأمر، ولكن إذا صَلُحت نيتكَ في معرفة الحق.

---

1) علامة ومحدث، وفقيه مجتهد، ومربي، وشريف محض (حسني: من نسل الإمام الحسن بن علي عليهما السلام)، وُلد سنة 1328هـ بطنجة المغرب، درس في القرويين، ونال العالمية الأزهرية سنة1351هـ وسِنُّهُ 23 سنة. قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر -وكيل كلية الشريعة حينها- الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تبارك وتعالى: ((نحن نهنئ الأزهر والشهادة الأزهرية بحصول الشيخ عبد الله عليها!))، كما هو في ترجمته لابن أخيه شيخ الطريقة الصديقية في العالَم العلامة الشريف عبد المنعم بن عبد العزيز الغماري الحسني حفظه الله تبارك وتعالى.

تم بحمد الله تبارك وتعالى، في يوم السبت الموافق:
٣ ذي القعدة ١٤٤٥هـ.
١١ مايو ٢٠٢٤م.

الخويدم...



الرسالة الصعيدية. . .

نصيحة لله

ومحبة في سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وآله ومن والاه

عبدالرحمن طه الصعيدي محمد أبو الحسن الأزهري

الخويدم